حرية
عدالة
مواطنة

البديل

اسبوعية-سياسية-مستقلة

رئيس التحرير : حسام ميرو

العدد (١٧٨) ٢٠١٥/٠٢/٨ م | www.al-badeel.org | Issue (178) 8/02/2015

الغياب "العربي" في مواجهة إيران و"داعش"

حسام ميرو

صعدت إلى ساحة التداول السياسي مفاهيم جديدة دالة على طبيعة الصراع في المنطقة، خصوصاً المفردات المتعلقة بالهويات الدينية والطائفية، وبات مصطلح الصراع السني الشيعي أحد المصطلحات الأكثر استعمالاً للتعبير عما يدور من حروب في منطقتنا، كما أن المطالبة بوجود محور سني قوي يواجه إيران باتت تحتل مساحة واسعة في مواجهة التهديد الإيراني، وبما يتعلق بخطر «داعش» فإن الكثير من التحليلات تذهب باتجاه ضرورة انتصار الفكر الإسلامي المعتدل على الفكر المتطرف.

ادّعت إيران منذ الثورة الإسلامية أن القضية الفلسطينية هي أحد قضاياها الرئيسية، لكن السلوك الإيراني خلال ثلاثة عقود ونصف مضى عكس ما روّجت له إيران بشأن فلسطين، وكان اشتغالها الحقيقي على تحويل نفسها قوة إقليمية، حتى لو أدى ذلك، عملياً، إلى دق إسفين في العلاقات العربية– العربية، واستنزاف إمكانات الدول العربية، ولا يمكن هنا، وضع اللوم على السياسات الإيرانية وحدها، فالسياسات العربية لم ترقَ إلى مستوى المسؤوليات التاريخية، وهي في مجملها سياسات لاعقلانية وقصيرة النظر.

منذ الاحتلال الأمريكي للعراق في عام 2003 ضربت إيران مفهوم العراق الموحد، وذلك عبر تشكيلات طائفية تتبع لها، فعراق عربي قوي هو خطر استراتيجي على الدولة الإيرانية، والمطلوب عراق ضعيف، وتابع، لا يستطيع أن يشكل تهديداً لأمن إيران، وهو ما أفضى إلى تهميش مكونات عراقية أخرى، وجدت نفسها خارج إطار الفعل السياسي والاقتصادي، في ظل غياب أي مشروع لبناء عراق جديد لكل مواطنيه، وهو ما كان مأمولاً من غياب ديكتاتورية صدام حسين.

الدول العربية، والتي طالما كانت العروبة بالنسبة لها مجرد شعار، اشتغلت ضد بعضها البعض، لكنها بقيت متوحدة على قضية واحدة، وهي عدم السماح للديمقراطية أن تأخذ مجراها إلى الحياة السياسية العربية، فالديمقراطية هي بداية النهاية لبنية النظام السياسي العربي الذي تشكل منذ منتصف القرن الماضي، وقام بشكل رئيس على الاستبداد، ومنع تشكّل معارضات وطنية فاعلة، وهو ما استدعى بشكل كبير الاستعانة بالمؤسسة الدينية الرسمية لتبرير سياسات الحكام، وتسويق أفعالهم، وترويض الشعوب.

خطر الجمهورية الإسلامية الإيرانية وخطر "الدولة الإسلامية" (داعش) هما الأكثر تهديداً لأمن المنطقة، والأكثر فاعلية في رسم مستقبلها، فالأولى تمكنت من مد نفوذها وصولاً إلى اليمن، وأصبحت لاعباً إقليمياً مهماً، كما أن "داعش"، وخلال فترة قصيرة نسبياً تمكن من الهيمنة على جغرافيا واسعة ومتصلة في سورية والعراق، وأصبح تنظيماً عالمياً يهدد الأمن والسلم الدوليين.

التفتت في المنطقة يمتد، وليس هناك من حد أدنى لتنسيق عربي حول مخاطر المستقبل، والواقع الراهن يشير بكل قوة إلى أن اهتمام كل دولة من الدول العربية ينصب بشكل رئيس على تحصين السلطات الرسمية لمواقعها، والمحافظة على مواقع الفئات الحاكمة، وليس التوجه نحو معالجة الخلل في المنظومات الوطنية، وما نتج عن هذا الخلل من مشكلات يمكن أن تؤدي إلى مزيد من الانفجار يزيد الواقع في المنطقة تعقيداً، ويُدخل شعوب المنطقة في متاهات الاستنزاف لراهنها ومستقبلها.

هل مصير المنطقة هو أن تسير من سيء إلى أسوأ؟ ، وهل العودة إلى مفردات الخطاب الديني من شأنها أن تحل مشكلات العرب المتراكمة، مثل التنمية، والبطالة، والتعليم، وغيرها الكثير من المشكلات التي عجز العرب عن حلها خلال نصف القرن المنصرم؟.

لم يستفد العرب من ممكنات المرحلة القومية، والأسوأ أنهم فرغوها من كل مضامينها السياسية والثقافية والاقتصادية، كما أجهضت النظم القائمة كل طموح وأمل للشعوب في النهضة، وهو ما تراكمت أثمانه، واليوم يدفع الجميع فواتير الفرص الضائعة، وبات التطرف سمة من سمات واقعنا الراهن، وهو تطرف يعكس تطرف الأنظمة في قمع شعوبها، وتطرفها في استنزاف بعضها البعض، عوضاً عن التعاون من أجل شعوبها.

لا عرب اليوم في مواجهة واقع معقد، وأمام مسؤوليات تاريخية بالغة الخطورة، والنتيجة أن إيران و"داعش" يتمددان، ويحتلان الفراغ العربي.

عَرضَ حرق الكساسبة على شاشات كبيرة لجمهوره

تنظيم «الدولة الإسلامية" يقوده الأمنيون إلى هلاكه

عصام عطا الله

إعدام ساجدة الريشاوي وزياد الكربولي من الجنسية العراقية خطوة أولى قام بها الأردن رداً على إعدام الطيار معاذ الكساسبة، وستتبع بخطوات أشد، سواء من الأردن، أو من قبل التحالف. هذا ما صرح به المسؤولون الأردنيون، وبهذا أخرج التنظيم الأردن عن سياسته بتوقيف أحكام الإعدام بحق المجرمين السياسيين.

وطريقة الإعدام (الحرق) والنتائج المترتبة على عملية الإعدام أعادت للواجهة الحديث عن الصراع الذي يعيشه التنظيم من الداخل، فرغم مشاهد القوة التي حاول التنظيم الظهور بها إلا أنّ ذلك للتغطية على وهن دخل التنظيم فيه. يقول الطبيب أبو نادر من ريف حلب: «يبدو أن تنظيم الدولة ما زال يدار بعقلية المؤسسين الأولى، الذين يفكرون بمنطق العصابة والجماعة لا بمنطق الدولة". فالتنظيم لم يحقق أي مكسب من عملية إعدام الطيار الأردني، بل خسر قدراً كبيراً من التعاطف الشعبي. يتابع أبو نادر: «حرق معاذ الكساسبة بهذه الطريقة دفع الشارع للاشمئزاز ورفض التنظيم، فالتعاطف الذي حصله من قتاله الأسد والأمريكان تبدد بعدة دقائق".

في حين يرى قسم آخر أنّ للحرق بعداً استخباراتياً، وأنّ قرار إعدام معاذ جاء رغماً عن البغدادي نفسه، ويدلل أصحاب هذا الرأي على حوادث مماثلة لوقوف أجهزة الاستخبارات وراء عدة عمليات إجرامية قام بها التنظيم، يقول المحامي أبو جلال من ريف حلب: « أبو عبد الله الكويتي الذي أفتى بإبادة الشعيطات وقتل أكثر من ألف من شبابهم وأطفالهم أعدم وصلب لاحقاً بتهمة العمالة لمخابرات غربية، وبالتالي لا يستبعد أن يكون من اتخذ قرار حرق معاذ عميل آخر يشبه أبو عبد الله». فالتنظيم مخترق حتى النخاع، وليس أدل على ذلك استهداف أمريكا لاجتماعات القيادة أكثر من مرة.

فقسم من الشارع يعتقد أنّ الهدف من بقاء التنظيم حتى الآن تشويه الإسلام، ومنع أي قوة إسلامية من استلام الحكم لاحقاً، لأنها ستحمل خطايا التنظيم، يقول الشيخ رضوان من ريف حلب: «الهدف أبعد من حرق معاذ، الهدف حرق القوى الإسلامية المعتدلة والتهيئة لبديل يرضى عنه الغرب، فالتحالف ما زال يتعامل مع التنظيم بردة الفعل لا الفعل مما أدى لتمدده". وبالتالي فقد يكون إعدام معاذ حرقاً من الفصول الأخيرة في تمدد التنظيم الذي دخل مرحلة الانكفاء والانحسار.

ويعتقد قسم آخر أنّ القوى الأمنية (البعثية) هي من تقف وراء قتل معاذ بهذه الطريقة، فالأمنيون (البعثيون العراقيون) هم من يدير النواة الصلبة للتنظيم، يقول الضابط المنشق أبو حسين: «توجد في أقبية المخابرات البعثية في سورية حالياً أو العراق سابقاً طرق للموت والتعذيب أسوأ بكثير من الطريقة التي أعدم بها معاذ، فالأمنيون البعثيون يمتلكون إرثاً عظيماً في القتل والتعذيب"، ولا يستبعد هنا أيضاً اختراق الجهاز الأمني من المخابرات السورية، بل يرى بعضهم أنّ هناك مؤشرات تصدع عمودية داخل النواتين الصلبتين (النواة الأمنية والنواة الشرعية) في التنظيم، يقول أبو حسين: « مع إعلان الدولة الإسلامية يفترض أن يخضع الجميع لميزان الشرع وقضائه العادل، لكن يلاحظ أنّ الأمنيين خارج هذا السياق، وكأن هناك جهازان يحكمان، فالأمنيون لا يخضعون لأية سلطة، وهذا ما يزعج الشرعيين، مما يؤشر لصراع خفي سيظهر للسطح لاحقاً ويكون من أسباب نهاية التنظيم".

فالمؤسسة الأمنية تقدم الفكر الأمني على كل اعتبار آخر، وفي هذا السياق جاء حرق معاذ، فالعقلية الأمنية تريد إيصال رسائل رعب للداخل قبل الخارج، كما تريد جذب نوعية معينة من المنتسبين الجدد. يقول المدرس عمار من ريف حلب: «لا أعتقد أنّ التنظيم يريد إرهاب دول التحالف وترهيبها، فإعدام معاذ حقق عكس ذلك، وزادها إصراراً على حربه، التنظيم يريد إرهاب الوسط الذي يحكمه، وإرهاب قوى الداخل والخلايا التي تعمل في مناطق سيطرة التنظيم "وفعلاً فقد زادت نسبة الخوف والرعب بين الأهالي، كما يسعى التنظيم من خلال طريقة الإعدام جذب شريحة لا تعرف الرحمة وقادرة على زرع الرعب. يقول التاجر الأربعيني أبو هادي من ريف حلب: «من خلال معايشتنا للتنظيم تبين أنّ ما يسمى الحاضنة الشعبية تأتي في ذيل اهتمامات التنظيم الذي يعتقد أنّ السيف قادر على تسيير الجميع، ومن يأبى السير يقطع رأسه"، وبهذه الطريقة حكم التنظيم دون أن يدري أنّ الرماد بقي تحت النار.

ويعمل التنظيم على خلق هذه النوعية من الرجال، فالغالبية الساحقة من رافضي حرق معاذ لم يروا عملية الإعدام، في حين رأت شريحة واسعة من المواطنين داخل مناطق التنظيم الإصدار (شفاء الصدور) كاملاً، فعرضت المكاتب الإعلامية التابعة للتنظيم الإصدار كاملاً على شاشات كبيرة في الساحات العامة، وتعطي أي راغب نسخة عن الإصدار.

وعلى عكس ما تداولته وسائل الإعلام، فقد وجد تنظيم الدولة بعض المؤيدين على فعلته، فقد كان إخراجه لإصدار (شفاء الصدور) على درجة عالية من الحرفية والإقناع، ولا سيما في الجانبين الديني والعاطفي، إضافة للمؤثرات البصرية، يقول أبو الحارث الشرعي في تنظيم الدولة: «لماذا ينتقد العالم الدولة الإسلامية ويتجاهل إجرام الأسد والتحالف، فالدولة الإسلامية لم تأت بمعاذ لسورية، إنما هو من قصف وحرق المسلمين، وكانت العقوبة عادلة من جنس العمل الذي قام به". فالتنظيم ادعى أنه أحرق معاذ بالمكان الذي قصفه بطائرته، وحرقه بالمواد ذاتها التي حرق بها المسلمين بالرقة، فالتنظيم عرف كيف يدغدغ مشاعر البيئة الموجود فيها، يذكر أنّ الأردنيين يتبوّون مناصب عالية ورفيعة في التنظيم.

لكنّ الشارعين العربي والإسلامي صُدما بمشهد الإعدام، إذ عدّ مخالفاً للفطرة الإنسانية السليمة التي تأبى التعذيب والحرق، فزاد التأييد الشعبي لضربات التحالف، يقول المحامي أبو رياض من ريف حلب: «كان التنظيم غبياً من الناحية السياسية، إذ فشل باستثمار أسر معاذ، وتحول أسره من مغنم إلى مغرم عقب إعدامه، فخسر كثيراً من المتعاطفين كما لم يحرر أسرى له" فأعلنت حالة التعبئة الشعبية، وقدم التنظيم المبرر للحرب ضده بعد أن كان قسم يرى أن الأردن أدخل نفسه حرباً لا ناقة له فيها نيابة عن الأمريكان.

وأكثر ما يخشاه السوريين أمران : تحميلهم أعباء إعدام معاذ، وإمكانية فتح قنوات للتعاون مع نظام الأسد. اللاجئون السوريون في الأردن متخوفون من تبدل معاملة الشعب الأردني الحسنة لهم، يقول اللاجئ في الداخل الأردني أبو يوسف: «نخشى من بعض المتهورين وردود الفعل الانفعالية، فقد لا يدرك بعضهم أن السوريين يعيشون ظلماً مضاعفاً (ظلم النظام والتنظيم) فنحن وجدنا عند إخوتنا كل تعاطف ومحبة، ولكنّ مجرد التفكير بعقلانية سيدفع الأردنيين لمزيد من التعاطف مع السوريين".

والسيناريو المرعب للسوريين يتمثل بإمكانية دعم بشار الأسد، فالسوريون يدركون أنّ ذلك يمهد لامتداد عمر التنظيم ودمار سورية، يقول الناشط أبو محمد من حلب: «لو فكر التحالف بعقلانية لضرب بشار قبل التنظيم، فذلك سيمهد لانشقاقات كبيرة في صفوف التنظيم، فالغالبية اضطرتهم الظروف الانخراط فيه دون الإيمان بفكره المتطرف» فالجدية في فناء التنظيم تتطلب سحب الشرعية والغطاء عنه.

لا شكّ أنّ التنظيم في حالة انحسار، وإعدام معاذ بهذه الطريقة تعويض عن هزائم التنظيم الأخيرة، فالتنظيم ظاهرة طارئة أكثر منه حقيقة على الأرض، لأنه لا يملك حاضنة اجتماعية، فالتنظيم يعيش على التناقضات والفوضى التي تشهدها المنطقة، وأي تأخير في الحل الصحيح سيعني حرق سورية.

الاستراتيجية المرتقبة للتحالف الدولي للقضاء على "داعش"

* موسى القلاب

يبدو أن تنظيم داعش قد حكم على نفسه بالإعدام مجتمعياً وشعبياً وانسانياً ودينياً بعد أن اقترف ببشاعة منقطعة النظير، جريمة قتل الطيار الاردني معاذ الكساسبة حرقاً وهو حي. وأثبت بوحشيته اللا متناهية أن لا أمل لبقائه في هذه المنطقة، عندما أقدم كذلك على ذبح الكثيرين من أبناء سوريا والعراق وآخرين من مختلف الجنسيات، بالسكاكين ذبح الخراف. وعندما قام بالقتل الجماعي والتصفية الجسدية لأشخاص أبرياء من مختلف الأعمار بلا ذنب، سوى أنهم لم ينضموا إلى فكره الظلامي المُنغلق في القرن الواحد والعشرين. هذه السلوكيات تنذر وتوحي بأن التنظيم قد بدأ بالانتحار ذبحاً وحرقاً وبرصاصه الموجه إلى صدور مقاتليه.

هنا لابد للموقف الدولي من وقفة مراجعة وإعادة نظر باستراتيجيته القاصرة، التي تقصف أطراف داعش من الجو وتترك رؤوس الأفاعي حرةً طليقةً تفتك بالمدنيين في حواضنه الشعبية التي غرَّر بها في غفلةٍ من الزمان، على وقع تناقضات الأحداث واختلال موازين القوى في سوريا والعراق. فالخطاب الإعلامي والدفاعي للغرب الذي يؤكد يومياً أن هذه الحرب ستكون طويلة ضد هذا التنظيم المجرم، وقد تستمر لسنوات عديدة، وأن التحضير والإعداد لتحرير مدينة الموصل من شروره، قد يحتاج إلى أكثر من عام، وإلى ما يزيد عن مائة ألف جندي، يفهمه التنظيم بأنه سيبقى طويلاً ويعيش إلى ما لانهاية. هذا الخطاب المُسطَّح الساذج من قبل الغرب يطمئن كل من يقاتل أو ينوي الانضمام إلى صفوف داعش، ويوحي لهم بأن ساعة الحسم بعيدة المنال، ما يشجعهم على المضي في مشروعهم الدموي، ويعزز من صمودهم لأطول فترة ممكنة.

أما الدور الأردني في الحرب على تنظيم داعش، فمن المتوقع أن يستمر ويتواصل لكن بصورة مكثفة ودقيقة هذه المرة. إذْ أن هنالك عدة جوانب وخيارات قد يعتمدها الأردن من خلال التحالف الدولي والعربي، منها تركيز الضربات الجوية بحيث تدمر قيادات التنظيم المركزية، ثم تستهدف القيادات الميدانية أينما وجدت، بعمليات جوية مركزة، ومبنية على تقارير استخبارية دقيقة، وتعاون وثيق من قبل سكان المنطقة الذين يرزحون تحت حكم داعش. فلا بد من وضع وتنفيذ خطط استراتيجية وتكتيكية متكاملة للقبض على رؤوس الإجرام بعمليات نوعية خاصة وتقديمهم للمحاكمة.

جغرافياً وميدانياً هنالك قاطعان رئيسيان يسيطر عليهما تنظيم داعش والموالين له، سواءً من أبناء العشائر المُغرر بهم، أو من المُستقطَبين من الخارج، وهما: القاطع السوري في حوض نهر الفرات والحاضنة الشعبية المركزية في الرقة ودير الزور، والقاطع العراقي والحاضنة الشعبية المركزية في الموصل والأنبار. عسكرياً لا بد من تجزئة هذه المناطق إلى مناطق دوائر قتالية أصغر، ووضع خطط عملياتية، تتزامن فيها ضربات جوية مع عمليات كوماندوس خاطفة، ليس بهدف قتل المقاتلين المنتشرين على مساحات واسعة فقط، وانما من أجل القضاء والقبض على قادة داعش المركزيين، ونقلهم أسرى، ومحاكمتهم، والإطاحة بقيادة التنظيم بأساليب استخباراتية وقتالية غاية في الدقة.

لكن الأهم من ذلك كله، العمل على فصل وتحييد الحواضن الشعبية التي يتجذر فيها التنظيم ويتغلغل كالأخطبوط بعدة وسائل سياسية واقتصادية ونفسية، وفكها عن الجسم الرئيسي للتنظيم. وهذا يعني اجتثاث «سرطان داعش» من خلال إحداث ثورة مجتمعية عارمة ضده لدى سكان المناطق التي اختطفها التنظيم عنوةً في أوقات فراغ سياسي وإداري حالكة السواد، في ظل فشل وغياب النظامين العراقي والسوري وتخليهما عن تلك الحواضن الشعبية فريسةً لتنظيم داعش وتطرفه وإرهابه.

في هذا السياق، لا بد من القول إن التنظيم لم يكسب شيئاً بل خسر الكثير عندما تعمد وقرر مسبقاً تصفية الأسرى والرهائن والمتهمين، بما في ذلك المنشقين عن صفوفه. كان بإمكان التنظيم أن يقبض أثماناً بالغة الأهمية والقيمة المعنوية والمادية، لو انه كان يجيد عمليات التفاوض وإدارة الخطاب السياسي مع كافة الأطراف المعنية. لقد فشل التنظيم فشلاً ذريعاً في تصعيد وتكثيف حالة «الحشد شعبي» التي كان يأملها ضد النظام السياسي الأردني، بحجة دخوله تحت مظلة التحالف الدولي ضد داعش، عندما قتل الطيار معاذ الكساسبة بهذه الطريقة البشعة. حيث بدلاً من ذلك توحدت المواقف الشعبية ضد التنظيم ووحشيته ودمويته، ليس في الأردن فحسب، بل في سوريا والعراق وبقية دول المنطقة والعالم كذلك. لقد أدركت المشاعر البشرية والإنسانية في أرجاء المعمورة أن التنظيم ليس بصاحب رسالة سامية كما يدعي بتخليص الشعوب المضطهدة من العدو القريب، المتمثل بالأنظمة السياسية المتسلطة، وهنا خسر التنظيم الكثير، وفقدت الشعوب بعض أبنائها جراء قسوة داعش وانغلاقه على نفسه. واستفادت الانظمة السياسية بالقول لشعوبها المعارضة في خطاب ضمني واضح المعالم: «تفضلوا وشاهدوا بأم أعينكم وحشية هذا التنظيم ودموية الإرهاب الذي ترجون منه أن يخلصكم منا».

لقد قفزت الصورة الذهنية المرعبة إلى مخيلة معظم الناس المحايدين بين داعش والأنظمة السياسية في هذه المنطقة، لتختزل استنتاجاً سريعاً مفاده أن: « نار الأنظمة السياسية التي عشنا تحت حكمها هي أقل وطأةً من الجنة المزيفة لتنظيم داعش والارهاب».

ثمة عوامل متعددة ستقضي ذاتياً على تنظيم داعش من داخله منها:

أولاً – غياب قيادة مركزية ذات قرار محدد تتحكم وتسيطر على استراتيجية تنظيم داعش، في ظل الظروف المعنوية والنفسية السيئة التي يعيشها التنظيم، خصوصاً بعد خسارته لمحور عين العرب كوباني، وتلقيه ضربات موجعة من قوات البشمركة الكردية وقوات الجيش العراقي والحشد الشعبي في كركوك وسد الموصل ونينوى وبعض مناطق الأنبار.

ثانياً – غياب الثقة من حيث المبدأ بتنظيم داعش من قبل المتعاطفين معه (نكايةً بالأنظمة السياسية) في سوريا والعراق ودول المنطقة، والتحول من التعاطف والمؤازرة إلى مواجهة وتصفية مقاتلي التنظيم بقوة السلاح.

هنا نستنتج أن تنظيم داعش سوف يبدأ بالتراجع قريباً، لكن انهياره وهزيمته ستبلغ الذروة منذ لحظة ثورة الحواضن الشعبية عليه.

*عميد(م) وباحث استشاري في مركز الشرق للبحوث– دبي.

القصف الصاروخي على دمشق واختراق نظرية الأمن

ياسر بدوي

متناقضات جديدة مضافة إلى الحالة السورية جراء القصف الصاروخي الذي شنه جيش الإسلام على العاصمة دمشق، مستهدفاً حسب البيان المعلن على حساب زهران علوش قائد جيش الإسلام في تويتر، «المقار الأمنية و المراكز العسكرية للنظام»، رداً على فصف النظام للغوطة الشرقية، وهذه المتناقضات في سياق الثورة السلمية و العسكرة، التي خلقت زوايا حادة في وجهات النظر حول الثورة و النظام، و التباس الأدوار بين من يخدم النظام، و بين التلاعب الخبيث الذي خطط له النظام ونفذه، وما يزال ينفذه .

طغت صواريخ الغراد التي سقطت على دمشق صباح الخميس 5-2-2015 على مجازر الأسد في دوما و كفر بطنا وخان شيخون، والتي تزامنت مع الهجمة الصاروخية، واللعبة التي عززها النظام عبر إطلاقه مجموعة من قذائف الهاون، والتي شاهدها الناس تنطلق من الأمن السياسي، و فرع الدوريات بالقرب من الدويلعة، و فرع الجوية في باب توما، وهذ الفعل ليس مستغرباً عن النظام، وهو ما تؤكده الكثير من الأقوال لمسؤولين كبار، مثل فاروق الشرع الذي قال لصحيفة الأخبار، "إن النظام كان يفتش بسراج و فتيلة عن بندقية بيد المتظاهرين بيد الثورة، و اليوم أصبح يشكو من كثرة العصابات المسلحة»، وهو ما وضع الثورة أمام هذه المعضلة الكبيرة: حماية الثورة المدنية بالسلاح .

أوجد النظام كتائب صغيرة من الكتائب المسلحة ليشوه الثورة، ويرفع السلاح عليها، ويقتل باسمها، وكانت المرحلة الثانية إطلاق الإرهابيين من سجونه، ومن متهمي القاعدة حصرا، إلى ساحة الثورة، لمواجهة إعلان الجيش الحر الذي بدأ بانشقاق الجنود، وإعلان رياض الأسعد عن هدف الجيش الحر «بحماية الثورة المدنية» فتم إجهاض التجربة، ودعم المنظمات الوليدة المتطرفة، ليستمر النظام و يطلب التوكيل الدولي في محاربة الإرهاب بصفقة، تقضي على الثورة، وتخلق تقاسم بطريقة الأقوياء من حيث السلاح .

واليوم يعلن زهران علوش حماية المدنيين، ويرمي الكرة في ملعب النظام، ليتوقف عن قتل المدنيين و تحييدهم، ولم يجد خيارا أمامه إلا تهديد النظام في عقر داره، بأقل الخسائر الممكنة لهذا الفصيل المقاتل ، و بالتالي ضرب نظرية الأمن التي يباهي النظام أنه يحققها، أمام مؤيده وأمام العالم، مما يجعله يفكر مليا في الخطوات التالية لهجمات الصواريخ، وبالتالي لا بد أن تخلق معادلة للردع بين الجانبين، المعارضة تمتلك الصواريخ المؤثرة في دوائر النظام العسكرية و الأمنية وأركان نظامه، و لا بد بالتالي أن يحسب النظام لكل عملية عسكرية سيقدم عليها.

جيش الإسلام بقيادة زهران علوش فصيل من المعارضة، يقاتل النظام ويوجعه، ولا بد من حساب خطواته ضمن هذا الإطار، ومن يضرب من جيشه هم مجموعة من الضباط العسكريين المنشقين عن النظام و الاختصاصيين، وبالتالي ما المعنى من هذه الهجمة على خطوته العسكرية الجريئة، والوقوع في الفخ الذي نصبه النظام لها، ويجب استثمار هذه الخطوة و البناء عليها، ولو مرحليا أو جزئيا في طريق الحل السياسي للأزمة، عن طريق لجم بطش النظام الذي يستبيح سوريا ويكون المنطلق من الغوطة، بالتالي لو تم التنسيق مع الفصائل الأخرى المحيطة بدمشق، لتحققت نظرية الردع هذه. وهذه الفصائل متواجدة في محيط دمشق، ولا شك أن موازين القوة غير متكافئة، لكن ضرب الأهداف الحيوية، تجعل من النظرية ذات فعالية، وتلجم النظام، توقف حمام الدم و المجازر التي يرتكبها بحق الشعب .

الخطوة الأهم أن تفتح الأبواب أمام الحل السياسي، الذي عطله النظام و انقلب على جميع الحلول المطروحة من المبادرة العربية إلى بيان جنيف وأخيرا مبادرة دي مستورا التي جمدها النظام، لأنها لم تأتِ على هواه، بحيث تكون نسخة من تجربة حمص في حلب، ليعيد الإمساك بالبلد عسكريا و أمنيا، فرفض استقبال دي مستورا متذرعا بعدم وجود خطة واضحة، وتعدد الكتائب و القوى العسكرية في حلب و صعوبة الاتفاق معها، و بالتالي التهديد المباشر لقوى النظام يجعل القوى المنضوية معه تفكر بإيجاد الحلول السلمية، و تفتح في المجال أمام الانتقال الديمقراطي المطلوب من غالبية القوى المدنية و العسكرية في سوريا.

تبقى المحاذير و هي كبيرة، من استمرار هذه الهجمات الصاروخية، لأن النظام سيجرها شعبيا، ضد المعارضة، وهذا ليس مستغربا، بل يجب على المعارضة الاستعداد لخوض هذه المعركة إعلاميا، وبالتالي يجب أولا اختيار الأهداف بعناية وتركيز، وليس بالضرورة استعراض القوة و ضرب أكثر من 200 صاروخ في ساعات، و أن يتم التركيز على النوع، صاروخ يضرب في مقر أمني أو عسكري، أو يهدد حكومة الأسد، يحقق نتائج أفضل. وثانياً تجنب وقوع أضرار بالمدنيين، ولو على حساب المفاجأة، وهذا تحقق في الضربات التي حدثت، بحيث سبق الهجمات الصاروخية، تحذير واضح للمدنيين، على حساب عنصر المفاجأة، وثالثا أخذ هذه الورقة من التنظيمات المتطرفة (النصرة – داعش) التي تقوم بأدوار خادمة للنظام، وكل هذا يحتاج لإعلام واعٍ و حقيقي يواكب هذه النقلة العسكرية والسياسية، ورابعاً لا بد من وضوح الهدف السياسي من هذه العملية العسكرية، حتى تكون في الإطار الصحيح .

إذا في ظل عجز الحلول السياسية، وافتقارها لعناصر القوة و بروز المنظمات الإرهابية كقوى مسيطرة على الأرض، وتلاعب النظام بجميع الأوراق، وقد استعصى على الحلول وجميع قواعد المنطق، واستعصى حتى على قواعد الاشتباك العسكري، تأتي هذه المحاولة من فصيل معتدل ومستعد للحوار مع فصائل المعارضة، لتشكل نقلة في تغيير قواعد اللعبة في سوريا، وتتزامن مع الصيحات الكبيرة داخل واشنطن، لتغيير أوباما لاستراتيجيته و جعل نظام الأسد من ضمن أهداف التحالف .

المقاومة التي لا تريد قتال "اسرائيل"!

فيكتوريوس بيان شمس

اكتفى «حزب الله»، كما «اسرائيل» بما أسماه حسن نصرالله في خطابه بعدها بـ «العملية النوعية» التي نُفّذت في مزارع شبعا ردّاً على استهداف «اسرائيل» لـ «مجموعة القنيطرة». وجّه نصرالله التحية في بداية خطابه لشهداء الجيش ولعوائلهم، والذين لا يعرف على وجه الدقّة ماهية الدور الذي لعبوه في الصراع مع «اسرائيل»، خاصة وأنّ «حزب الله» لم يهمش دور هذا الجيش فقط، بل باحتكاره قرار الحرب والسلم، همّش المجتمع اللبناني بكل قواه و «مؤسّساته» وأحزابه. أطل حسن نصرالله في 31/1/2015 كما العادة عبر شاشة، كانت في أيام خلت إحدى وسائل حمايته من أي استهداف «اسرائيلي» محتمل، وقد أوحت إطلالته بنفس الطريقة، أن «اسرائيل» قد تستهدفه في هذه الظروف التي يعمل فيها هذا الحزب مع النظام السوري على إعادة الشعب السوري إلى حظيرة الطاعة بذريعة حماية ظهر المقاومة. في خطابه الذي حضره سفير النظام السوري في لبنان علي عبد الكريم علي، أطلق نصرالله على قتلى حزبه في القنيطرة وصف: "شهداء طريق القدس". إذاً، طريق القدس يمر من سوريا، لكن الرد على الضربة "الإسرائيلية" كان في جنوب لبنان. لماذا؟، لأن "فرع تنظيم القاعدة السوري" أي "جبهة النصرة"، أو "جيش لحد" كما أطلق عليه، يقف عناصره بالآلاف على الحدود. للمرء أن يبدأ من نهاية خطاب نصرالله ففيه الخلاصات الشافية: «لا نريد الحرب، لكننا لا نخشاها». ولسائل أن يسأل: وما هو دور المقاومة إذاً؟ أليس مجرّد وجود «اسرائيل»، حتى لو لم تقم بأي اعتداء كالذي حدث في القنيطرة، يعتبر احتلالاً يستدعي المقاومة؟ ثم إذا كان «حزب الله» لا يريد الحرب، لماذا يتواجد عناصره برفقة ضباط إيرانيين في القنيطرة، أو على أي بقعة من سوريا؟ وإذا كان الحزب يعترف بلوائح الإرهاب العالمية، ومن ضمنها الأميركية التي أدرجت "جبهة النصرة" عليها، ألا يعني ذلك أن ما يفعله "حزب الله" في سوريا، هو تحالف بحكم الأمر الواقع مع أميركا وغيرها لـ "مكافحة الإرهاب" المزعوم؟ وأن عليه الاعتراف بتلك اللوائح إذا ما أُدرج هو نفسه عليها؟ لا يريد "حزب الله" الحرب مع "اسرائيل"، أليس هذا ما ترجمته الأنظمة العربية التي هاجمها نصرالله فعلياً منذ نشوء الكيان الصهيوني بالممارسة العملية، ومن ضمنها النظام الذي يسانده؟ نصرالله لا يريد الحرب مع "اسرائيل"، إذاً، ما الذي كان يفعله عناصره برفقة ضابط ايراني في القنيطرة؟ إذا نوقشت المسألة من جانب آخر وعلى ضوء النوايا الطيبة، يصح القول، أن "حزب الله" لا يريد الحرب، لكن إيران تريدها انطلاقاً من قناعاتها الأيديولوجية بضرورة تحرير فلسطين، وهذا بلا شك هدف نبيل. ما الذي قد يعنيه ذلك؟ حزب لا يريد الحرب، ولا يأخذ أوامره من أحد، كما يحرص أمينه العام بتذكير الناس في كل إطلالة له بهذه اللازمة، لكنه يرسل عناصره مع ضابط إيراني كبير كمحمد علي الله دادي إلى منطقة تقع تحت سيطرة «جبهة النصرة». إذاً، وبوضوح «حزب الله» لا يريد الحرب، لكنه لا يخشاها، إضافة إلى أن النظام السوري لم يحرك ساكناً منذ عقود على ذات الجبهة، بينما قد تريدها ايران. هكذا، أصبحت الحرب مع «اسرائيل» مهمة ايران وقضيتها، وعلى العرب مساعدتها فقط، لأنها قضية ايران، وليست قضية العرب، ألم «يمتزج الدم الإيراني واللبناني على الأرض السورية»؟ قصيدة جميلة نحتت تفاصيلها على الأرض السورية بعد تهجير أهلها. وأصبحت المعادلة على الأرض: حزباً لا يريد الحرب مع «اسرائيل» (يجب التذكير دائماً بأنه لا يخشاها إن حصلت)، لكنه يقاتل في سوريا، وهي طريقه للقدس. وفي العودة للشق الثاني من الجملة: «لا نخشاها إن حصلت"، هذا رد أنظمة وليس رد مقاومات، لأن المقاومات بما هي رد فعل طبيعي على العدوان، تعمل طالما العدوان موجود أصلاً، بينما قد يفهم إذا قال العدو: "لا نخشى الحرب مع المقاومة إن حصلت". لكن "حزب الله" يقاتل بالفعل، وإلا، ماذا يفعل في سوريا؟ "لا نريد الحرب"، لكنه يقاتل في سوريا! المعادلة واضحة: بقتاله الشعب السوري، يقاتل الحزب "اسرائيل" في سوريا (وهو يفتخر بذلك)، لكنه "لا يريد الحرب معها"، هذا ليس استعصاء أيديولوجياً، هذه حرب، أفليس طرفها هذا، إلا من غموض يعتقده بالوهم وضوح؟ هكذا احتكر "حزب الله" قرار الحرب والسلم، فهو لا يريد الحرب، لكن ماذا لو قرّر فصيل لبناني آخر أن يخوض المواجهة مع "اسرائيل" الآن؟ كيف سيتعاطى "حزب الله" مع الموقف؟ هل سيتكرّر سيناريو استهداف المقاومين وتصفيتهم كما حصل في مرحلة مضت، كانت فيها "جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية" عماد المقاومة المتفلّتة المتمرّدة على كل ما هو رسمي ونظامي وعمودها الفقري؟ تحدّث نصرالله عن العروبة معدّداً مآخذه على «الجامعة العربية» والأنظمة من خلفها، وهي المآخذ التي تعتبر محل إجماع في جانب منها، لـ «المعارضين» قبل الموالين، فالعروبة أصابها الوهن، لكن الفهم الخاطئ، يستدعي القول إن وجود "حزب الله" كحزب طائفي، هو بحد ذاته دليل على الوهن الذي أصاب العروبة، والتي لو كانت في طور صعودها، وهي كرابطة جامعة، على نقيض الطائفية، لما كان هذا الحزب موجوداً من أساسه. فوجوده، دليل لا يقبل الشكل على العطب الذي أصابها. قتال «اسرائيل» للتخلّص منها ومن شرورها، مسألة أخلاقية، على الأنظمة أن تقوم بها عوضاً عن قتال شعوبها، وليس الاعتماد على أحزاب طائفية ذات أدوار اقليمية، تحاول في لعبها لهذا الدور، البحث عن كل المبررات لتوظيفها في شرعنة تورّطها بدماء هذه الشعوب، لأن لا شيء يمنع "حزب الله" الذي "لا يريد قتال اسرائيل"، أن يفعل مع الشعب الفلسطيني ما فعله مع الشعب السوري بذات الحجة، إلا مسألة واحدة، انتهاء دوره كحزب طائفي يستخدم المقاومة في تبرير ارتكاباته، بانتهاء الأنظمة التي رعته، فيما استباحت دماء وأعراض شعوبها.

في «براءة» ابن تيمية من دم الكساسبة

■ حكم عاقل

تتفوق «داعش» على هوليوود، وتمضي في إنتاج المزيد من أفلام الرعب. الفارق، أن واقعية «داعش» تفوق أي خيال هوليوودي. محرقة الكساسبة تفوق الوصف، مع أنها تستدعي معها صور الموت اليومي على أيدي جميع مجرمي الحرب وتجارها في المنطقة بلا استثناء. إنها تعكس مستوى الانحطاط الإنساني في الشرق الأوسط.

وما أن أعلن التنظيم عن مبرراته الفقهية لقتل الطيار الأردني بهذه الطريقة، استناداً إلى نصوص ابن تيمية والفتوى الداعشية المستخلصة منها، حتى سارع عديدون إلى تبرئة ابن تيمة، ومحاولة غسل يديه من ممارسات «داعش». اتفقت معظم التبريرات على أن نصوص ابن تيمية التي استندت اليها «داعش» مقتطعة من سياقها، وأنها وظفت في غير ما رمت إليه، إذ تتحدث عن الأحياء لا الأموات، وعن الكفار لا المسلمين. أما تلك الروايات التي تتحدث عن حرق أبي بكر للفجاءة السلمي حيا، وحرق خالد بن الوليد لرأس جثة مالك بن نويرة، فقد جرى التشكيك في صحتها. لكن مفتي مصر السابق علي جمعة كان كعادته أشد صراحة وإثارة للجدل، فلم يتردد في إدانة ابن تيمة فقال: ((ابن تيمية عمل بلاوي كتير)).

بالعودة إلى النصوص المشار إليها، نجد نصاً لابن تيمية يتحدث فيه أساسا عن المثلة (التمثيل بالكفار إذا مثلوا بالمسلمين معاملة بالمثل)، فيرى «أما التمثيل في القتل فلا يجوز إلا على وجه القصاص»، وأيضا: « يكره نقل رأس ورميه بمنجنيق بلا مصلحة.. المثلة حق لهم، فلهم فعلها للاستيفاء وأخذ الثأر، أو لهم تركها والصبر أفضل، وهذا حديث لا يكون في التمثيل بهم زيادة في الجهاد، ولا يكون نكالا لهم عن نظيرها، فأما إذا كان في التمثيل الشائع دعائهم إلى الإيمان أو زجرا لهم عن العدوان، فإنه هنا من إقامة الحدود والجهاد المشروع، ولم تكن القصة في أحد كذلك، فلهذا كان الصبر أفضل».

وتتعلق المثلة أساسا بـ «جثث الكفار» وليس الأحياء، والفقهاء هنا على ثلاثة وجوه. يذهب الأول إلى تحريمها كما رأى الزمخشري والصنعاني والشوكاني، ويذهب الثاني إلى الكراهية دون التحريم، فيرى ابن قدامة أنه: « يكره نقل رؤوس المشركين من بلد إلى بلد والمثلة بقتلاهم وتعذيبهم». أما الثالث، فهو ما وجدناه عند ابن تيمية والذي يترنح بين الحث على الترك وتجويز ذلك وفق توافر شروط أو عدمها، كالمصلحة او الدعاء إلى الإيمان (لا ندري كيف) أو الزجر عن العدوان وغيرها. وهو يترك إمكانية لقراءة نصه بوجوه عدة. وبالرغم من التعسف الواضح في قراءة نص ابن تيمية، فهل تكمن المشكلة فعلاً في ابن تيمية نفسه، أو في نصوصه، باعتباره أحد منطلقات الفكر الداعشي وأشباهه؟

ابن تيمة وأستاذه ابن حنبل، يعدان اليوم أهم مراجع الفكر السلفي، لاسيما في أشكاله الأكثر تطرفا، وقد تعرض ابن تيمية للانتقاد من علماء عصره، واتهم بالخروج عن اجماع العلماء في حينه، فهاجمه ابن حجر الهيتمي، وتقي الدين السبكي، وتاج الدين السبكي، وابن جماعة، وغيرهم من أئمة الشافعية والمالكية والحنفية، وانتقدوه في أمور مختلفة، لاسيما في القول بقدم العالم بالنوع، والنهي عن زيارة قبور الأنبياء وغيرها، واشتكوا عليه في مصر، فحوكم وحبس في قلعة الجبل. لكن في النهاية يبقى ابن تيمية ابن عصره، وهو بالمصطلح الإسلامي «مجتهد» كغيره، وربما تكمن كل المشكلة في الفكر السلفي عموماً الذي يتعامل مع الحوادث المحددة بزمان ومكان، ومع فهم بشري في عصر ما، بمثابته مقدس ديني. هنا يتحول التاريخ مع هؤلاء إلى وحي. ما ينتج كل الفتاوى الشاذة الغريبة وكل عنف ممكن.

لكن في مقابل ثقافة الموت الداعشية، تطل علينا ثقافة مماثلة تحمل للأسف طابعا رسميا، وهي إن كانت أقل عنفا، فإنها في النهاية لا تخدم العمل على القضاء على أيديولوجيا «داعش»، فها هو الأزهر يرد على القتل بالدعوة إلى القتل، وعلى التمثيل بمثله، فيأتي بيانه مستنكرا لجريمة داعش: ((...هذا العمل الإرهابي الخسيس الذي يستوجب العقوبة التي أوردها القرآن الكريم لهؤلاء البغاة المفسدين في الأرض الذين يحاربون الله ورسوله أن يقتلوا أو يصلّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ونهيب بالمجتمع الدولي التصدي لهذا التنظيم الإرهابي))، وهنا الإشارة إلى الآية القرآنية: ((إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم))، ويتصل بأسباب نزول هذه الآية، ما روي عن أنس بن مالك: ((قدم على النبي صلى الله عليه وسلم نفر من عكل فأسلموا واجتووا المدينة فأمرهم [النبي صلى الله عليه وسلم] أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا الإبل ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم ، فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا))، فهل ردة فعل الأزهر أقل سلفية؟ وهل كانت على قدر من الحكمة يكفي لتصب في صالح قدرة المجتمع الدولي والمجتمعات المحلية على الوقوف في وجه الأيديولوجية "الداعشية"، أم هي استنساخ لها؟.

في حديث عن أبي هريرة ينقل فيه ما يلي" بعثنا رسول الله في بعث، فقال إن وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوهما بالنار، ثم قال الرسول حين أردنا الخروج، إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا ولكن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما"، ومع أننا لا ندري ما هي الحكمة من هذا الأسلوب التعليمي المتمثل بطلب شيء ثم التراجع عنه، فقد أصبحت عبارة "لا يعذب بالنار إلا رب النار" شعارا رفعه الكثيرون على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، ردا على الصدمة التي أحدثها الفلم الداعشي المصور لعملية حرق معاذ الكساسبة، ولكن ظهراني هذه العبارة نفسها ألا تتولد ثقافة الموت وكل سيكولوجيا التعذيب؟ أما آن لنا أن نستبدل صورتنا التقليدية عن الله ليكون سلاماً ومحبة، بدل أن يكون منتقما جبارا يملك كل وسائل التعذيب التي مارسها البشر تاريخيا على الأرض، دون أن يخشوا منها هناك في السماء؟ أليست هذه هي الثقافة المطلوبة اليوم للوقوف في وجه ثقافة "داعش" وكل المجرمين بحق الإنسانية أينما كانوا؟

الحوثيون يتولون السلطة ويدخلون اليمن في انتحار سياسي

استكمل الحوثيون سيطرتهم على المفاصل الرئيسية للدولة اليمنية، وتوجوا استعراض قوتهم بحل البرلمان يوم الجمعة الماضي، ودعوا إلى تشكيل مجلس مؤقت بديل وحكومة في خطوة وصفتها قوة سياسية يمنية بأنها انقلاب صريح.

ويمر اليمن باضطراب سياسي شديد منذ استقالة الرئيس عبد ربه منصور هادي، وحكومة خالد بحاح، بعد استيلاء الحوثيين على قصر الرئاسة، وتحديد إقامة رئيس الدولة في إطار سعيهم لإحكام قبضتهم السياسية على البلاد.

وكان الحوثيون قد تحولوا إلى قوة مهيمنة بعد اجتياحهم صنعاء في سبتمبر/ أيلول الماضي، ودخلوا في حوار مع قوى سياسية أخرى، لكن الحوار وصل إلى أفق مسدود، ولم ينتج عنه أية مخارج لحل الأزمة.

وحضر بعض الزعماء السياسيين إعلان البيان في قصر الرئاسة. وكان من بين الحضور وزيرا الدفاع والداخلية السابقان، وهو ما يشير إلى أن البيان مدعوم من بعض الفصائل السياسية الأخرى.

وأذاع التلفزيون اليمني بياناً جاء فيه : "يتولى رئاسة الجمهورية في المرحلة الانتقالية مجلس رئاسي مكون من خمسة أعضاء ينتخبهم المجلس الوطني".

وأضاف البيان "يكلف مجلس الرئاسة من يراه من أعضاء المجلس الوطني أو من خارجه بتشكيل حكومة انتقالية من الكفاءات الوطنية".

ووصفت شخصيات يمنية خطوة الحوثيين بأنها ستدخل اليمن في نفق المجهول، وهي بمثابة "انتحار سياسي" بحسب وصف ناصر النوية القيادي في حركة "الحراك الجنوبي" الانفصالية.

وكانت بعض القوى السياسية قد تأخرت في إعلان موقفها النهائي من الخطوة التي أقدم عليها الحوثيون، وعلى الأرجح أن القوى السياسية تدرس احتمالات عديدة، ومنها ما يتعلق بخيار المواجهة الاستراتيجية مع الحوثيين.

ويُعد استقرار اليمن مهماً على نحو خاص للسعودية أكبر مصدر للنفط في العالم. وفي خطوة تدل على استيائها من الحوثيين، أوقفت المملكة العربية السعودية مساعداتها المالية لليمن، ومن المتوقع أن تؤثر هذه الخطوة بشكل كبير على قدرة أي حكومة على إدارة الأوضاع المعيشية لليمنيين.

وتطرح الخطوة الحوثية الكثير من الأسئلة حول طبيعة المواجهة بين دول الخليج وإيران الداعمة للحوثيين، لا سيما أن المواجهة مفتوحة على أكثر من محور في منطقة الشرق الأوسط.

ويذكر أن اليمن يحارب واحداً من أخطر أفرع القاعدة، بمساعدة ضربات طائرات أمريكية بدون طيار.

غارات جوية ومداهمات للجيش المصري تطال قياديين في "ولاية سيناء"

القاهرة (رويترز)

قالت مصادر أمنية إن 47 متشددا قتلوا وأصيب نحو 20 في غارات جوية ومداهمات شنها الجيش المصري يوم الجمعة في محافظة شمال سيناء في واحدة من أكبر العمليات الأمنية في المحافظة منذ شهور.

وأضافت المصادر إن طائرات الأباتشي شنت غارات على معاقل لتنظيم "ولاية سيناء" الذي بايع في نوفمبر تشرين الثاني أبو بكر البغدادي زعيم تنظيم الدولة الإسلامية المتشدد الذي استولى على أجزاء واسعة من العراق وسوريا في الصيف الماضي.

وقال مصدر إن الغارات استهدفت اجتماعا لولاية سيناء كان يعقد جنوبي مدينة الشيخ زويد، وإن معلومات وردت لقوات الأمن عن عقد الاجتماع للإعداد لهجمات جديدة. وأضاف أن 27 شخصا قتلوا في الغارات على مكان الاجتماع.

وتابع أن المداهمات اسفرت عن مقتل 20 شخصاً، وإلقاء القبض على 22 آخرين، وتدمير أوكار للمتشددين ووسائل نقل وضبط معدات اتصال.

وقالت مصادر أمنية إن مجندا من قسم شرطة الشيخ زويد أصيب يوم الجمعة برصاص مسلحين فروا هاربين. وأضاف مصدر أن رجلا قتل برصاص قوات الأمن لاجتيازه نقطة أمنية قريبة من الشيخ زويد بالمخالفة لتعليمات رجال الأمن في النقطة. وتابع أن طفلا يبلغ من العمر عشر سنوات أصيب برصاص مسلحين في مدينة رفح الحدودية مع قطاع غزة.

ويسعى تنظيم ولاية سيناء إلى إسقاط الحكومة المصرية، وأعلن المسؤولية عن هجمات منسقة وقعت الأسبوع الماضي في شمال سيناء، وقتلت أكثر من 30 من قوات الأمن.

وكان التنظيم يسمي نفسه "جماعة أنصار بيت المقدس" قبل انضمامه إلى تنظيم الدولة الإسلامية ومبايعة زعيمه.

وبعد هجمات أواخر الشهر الماضي قال الرئيس عبد الفتاح السيسي في كلمة إلى المصريين إن البلاد تواجه معركة طويلة وصعبة مع المتشددين.

ومنذ إعلان الجيش في يوليو تموز 2013 عزل الرئيس السابق محمد مرسي المنتمي لجماعة الإخوان المسلمين بعد احتجاجات حاشدة على حكمه كثف متشددو شمال سيناء هجماتهم على رجال الأمن وقتلوا مئات منهم.

وقتل مئات من أعضاء ومؤيدي الجماعة في احتجاجات تخلل كثير منها العنف منذ عزل مرسي كما ألقي القبض على ألوف منهم وقدموا للمحاكمة.

وفي مدينة الإسكندرية الساحلية قالت مصادر أمنية وطبية إن امرأة قتلت وأصيب أربعة أشخاص في انفجار قنبلة في شارع بشرق المدينة.

وقالت المصادر إن رجال الحماية المدنية أبطلوا مفعول عدد من العبوات الناسفة في أكثر من مكان بالمدينة.

وذكرت وكالة أنباء الشرق الأوسط الرسمية أن اشتباكات وقعت يوم الجمعة بين متظاهرين مؤيدين لجماعة الإخوان وقوات الأمن في حي المطرية بشمال شرق القاهرة.

وحكم بالسجن أيضا على نشطاء ليبراليين قام بعضهم بدور بارز في الانتفاضة التي استمرت 18 يوماً، بعد أن وجهت النيابة العامة لهم تهم منها انتهاك قانون يمنع التظاهر دون موافقة السلطات، والتعدي على رجال أمن وإتلاف ممتلكات عامة وخاصة.

المكان العربي وتفاعلاته في القرن العشرين

(١)- توصيف عام للعالم العربي في التاريخ المعاصر

د. عبدالله تركماني *

يبدو أنّ أبرز مفارقات التحدي المكاني في العالم العربي يتمثل في دور الفراغات والفواصل والحواجز الصحراوية الشاسعة، الممتدة بين معظم الأقطار العربية، في تقطيع وتجزئة المنطقة العربية عمرانياً وسكانياً، وبالتالي مجتمعياً وسياسياً. فمن الحقائق الأساسية التي ميزت المنطقة العربية، وما زالت تميزها، كونها منطقة صحراوية ذات مناخ جاف، تغطي الصحراء ما يزيد عن 80% من مساحتها الإجمالية.

وتحتاج خصوصيات الجغرافيا العربية إلى إعادة درس وتقييم، لأنها تمت «أدلجتها» قومياً بتكرار القول: إنّ العالم العربي وحدة طبيعية. في حين أنّ المعطيات الجغرافية، طبيعةً وموقعاً، ليست لصالح العرب تلقائياً. لذا، فإنّ هذه الحقيقة الطبوغرافية عن العالم العربي لا بد من تحليل آثارها بجلاء، إذا أردنا صورة دقيقة عن نوعية «الوحدة» و«الدولة الموحَّدة» التي شهدها في ماضيه، أو عن إمكانات توحيده في المستقبل، والعقبات الحقيقية التي تعرقل هذا التوحيد.

إضافة إلى أنّ المعطيات الجغرافية والبيئية في العالم العربي أدت إلى بقاء طرائق العيش ووسائل الإنتاج مغلقة وشديدة الاختلاف. وهكذا، تشكل في العالم العربي مجتمعان: أولهما، هامشي أو مهمش يتكون من غالبية الأرياف والبوادي وبعض المدن أو أقسام من المدن. وثانيهما، جديد/سياسي، مجتمع مدن، مهن وحرف جديدة أو متغيّرة، طلاب وتعليم حديث، سياسة وأحزاب. إنّ تريف المدينة وبَدْوَنَتَهَا هو الإشكالية المطروحة على الفكر العربي السياسي، فقد «جلبت التحولات الاجتماعية ما بعد عهود الاستقلال الأولى إلى الحواضر العربية إما أبناء الريف العربي أو أبناء البادية، وهؤلاء لم يقفزوا على السلطة بالطريقة التقليدية، التي نوه إليها ابن خلدون بالعصبية القبلية، ولكنهم حازوها من خلال المؤسسات «الحديثة» المنظمة كالجيش والأحزاب «الحديثة» التي جمعتهم لأسباب اقتصادية وأيديولوجية وعصبوية أيضاً، فأصبح العمل السياسي العربي – إلا فيما ندر – في أيدي هذه الفئات بعد أن تخلصت، تحت شعارات شتى، من الأرومة المدنية العربية في الحاضرة، التي قادت العمل السياسي والصناعي والتجاري برهة من الزمن بعيد الاستقلال. فأصبحت قيم وممارسات العمل السياسي في المدينة العربية قيماً وممارسات ريفية، مما اصطلح على تسميته «بترييف المدينة». من هنا نفهم «أنّ القضاء على التجربة الديمقراطية الوليدة (بعيد نيل الاستقلال الوطني) لم يُثر ردَّ فعلٍ شعبياً، بل على العكس من ذلك وجد ترحيباً من قبل الجماعات التي لم يصل وعيها إلى حد استيعاب معنى المواطنة وحرية إنتاج السلطة، وهي الجماعات الأكثر عدداً وحضوراً. وبدا أنّ الإجهاز على الديمقراطية يمثل انتصاراً شعبياً».

ولذلك فإنّ العالم العربي شهد سيرورة انحدار، تجلت في إحدى أهم تظاهراتها في التجزؤ والتناثر القومي. كما أنها تمثلت في اشتداد وهيمنة الروابط التقليدية، ما قبل القوميـــة (العشائرية، الطائفية، الجهوية، فضلا عن القطرية).

وفي محاولة لتفسير هذه السيرورة يمكن أن نشير إلى أهم الجدليات الحاكمة في التاريخ العربي:

(أ)– التوحد والتفتت، إذ أنّ كلتا الحالتين ما هما إلا لحظتان تاريخيتان مؤقتتان، وأنّ كل واحدة منهما حملت في أحشائها البذور الجنينية للحالة الأخرى. أي أنّ التوحد – كعملية مجتمعية سياسية – كان يمثل اتجاهاً تاريخياً مضاداً، والعمليتان سادتا التاريخ العربي من خلال جدلية مستمرة.

(ب)– الداخل والخارج، أي التفاعل والصراع بين قوى الداخل الأصيلة في تركيبه، وبين قوى الخارج التي حاولت قهره والهيمنة عليه. وقد كان القرنان الأخيران فترة انحسار لقوى الداخل وفترة مد واختراق وهيمنة لقوى الخارج.

(ج)– العقائد الكبرى الموحِّدة والعقائد الصغرى المفتِّتة، ونعني بالأولى الإرث التاريخي المشترك، بما فيه الإسلام والثقافة واللغة العربية ونمط الحياة. ونعني بالثانية التنوعات المحلية داخل كل هذه الموحدات الكبرى.

(د)– الروحانيات والماديات، أي التفاعل و/أو الصراع بين «الظروف» و «النصوص»، بين «المدنس» و «المقدس»، بين «الواقع المعاش» و«الرؤى المثالية». وقد شهد القرنان الأخيران – على الخصوص – العديد من حركات الإسلام السياسي الرافضة لـ « الواقع المعاش «، والتواقة إلى استعادة «الفردوس المفقود».

أما من الناحية السياسية فقد سقطت دولة المؤسسات والقانون، وتراجع القضاء وفقد استقلاله، وسيطرت آلة القمع وانتفت الحريات العامة، كما أصبحت القوات المسلحة القوة الوحيدة المسيطرة على مقاليد السلطة والاقتصاد، وتتحكم بالعلاقات الداخلية والخارجية.

إنّ ما ذكرناه أعلاه يسلط الضوء على مشكلة التأخر العربي، تأخر البنية السياسية العربية بجماعها. لقد بقيت الدولة العربية، في شتى أشكالها: البرلمانية، والثورية، والأوتوقراطية، والعسكرية، التي ارتدت إطاراً شبه حديث مع الاجتياح الاستعماري، ذات بنية تقليدية. والصفة الأولى المميزة لدولة ذات بنية كهذه ليس فقط كونها فوق المجتمع، بل أيضاً كونها توفر اندماجاً بين السلطة وممارسيها. هذه الدولة تتيح أوسع الفرص لممارسة أقلية ما هيمنة دائمة، والصراعات حول السلطة (وكثيراً ما تعتبر هي السياسة في هذه المجتمعات المتأخرة) داخل هذه الأقلية تسهم أكثر في تعزيز السيطرة لا إضعافها. هذه الأقلية، الأقوى من الشعب والراكبة عليه، بإلغائها الحياة السياسية للشعب، عطّلت بالنتيجة عملية تحديث السياسة وعرقلت دمقرطتها، أي عرقلت عملية تحوّل الفرد إلى عضو في الدولة.

إنّ السبب الرئيسي للاعقلانية السياسة العربية، الموصوفة أعلاه، يتلخص في عدم امتلاكها الوعي المطابق لحاجات الواقع، وفي الفاعلية المحدودة جداً للرأي العام العربي، وفي تغليب مصلحة فئوية على المصلحة الوطنية، وتعود أخيرا إلى التأخر العربي العام وإفرازاته.

ويبقى السؤال المشروع هو: لماذا تحولت «الحركة العربية» من حركة استقلال عن الاستعمار إلى حركة مصالحة معه، ومن حركة طموح إلى الوحدة العربية إلى حركة تكيّف مع التجزئة ؟

* باحث استشاري في « مركز الشرق للبحوث » دبي